ATLAS

אטלס

أطلس

للدراسات الإسرائيلية

Atlas Center For Israeli Studies

لعبة جديدة تبدأ

النووي والتمركز الإيراني في سوريا

صادر عن

مركز دراسات الأمن القومي

عاموس يدلين وآساف أوريون

ترجمة

مركز أطلس للدراسات الإسرائيلية

غزة - فلسطين

خلال "مايو المتفجر" وصل الاتجاهان الاستراتيجيان المتعلقان بإيران إلى مفترق دراماتيكي؛ في المجال النووي أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن انسحابه من الاتفاق النووي (JCPOA)، بينما في سوريا، وفي أعقاب إطلاق الصواريخ الفاشل التي قام بها "فيلق القدس"، نفذت إسرائيل هجومًا واسع النطاق استهدف ممتلكات إيران العسكرية في هذه الدولة، ودفعت إلى الخلف ما أنجزته إيران من إعدادات خلال أشهر طويلة. في مفترق الأحداث هذا التقت عدة محاور: طموحات إيران النووية وتمركزها في سوريا وجهودها لتأسيس قدرة صاروخية دقيقة كتهديد لإسرائيل، وكذلك لقاء بين سياسة الولايات المتحدة وإسرائيل في هذه السياقات؛ هذا التوحد خلق وضعًا جديدًا في الديناميكا المعقدة في الشرق الأوسط.

برامج إيران النووية

كشف أرشيف برنامج إيران النووي، من قبل رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو، أريد منه تهيئة المسرح لإعلان ترامب بشأن انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي، وتعزيز موقف أعضاء طاقم الرئيس الجديد (وزير الدفاع مايك بومبيو ومستشار الأمن القومي الجديد جون بولتون)، وإقناع المقتنعين أصلا بهذا الشأن وقاعدة مؤيدي الرئيس. كشف "المكتبة" كاملة - والتي كانت أجزاء كبيرة منها قد وصلت قبل عدة سنوات إلى المجتمعات الاستخبارية والمنظومة الدولية - عزز أسلوب الخبراء وصناع القرار المعنيين بهذا الشأن، كل واحد في مركزه.

مع ذلك، فقد كشف نتنياهو في عرضه مكونيْن مهميْن؛ الأول: لا يدور الحديث عن أرشيف فقط، وإنما عن قاعدة علمية وبرنامج في الدرج، جاهزيْن للاستخدام عندما تقرر إيران الانطلاق صوب القنبلة. الثاني: الاتفاق النووي يقوم على أساس إعلان إيراني كاذب تمامًا بأن هدف برنامجها النووي ليس السلاح النووي، من هنا فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن يُسمح بإنهاء القيود الأساسية المضروبة على برنامج إيران النووي بعد 10 - 15 عامًا (وفق بند "غروب الشمس") في إطار الاتفاق، حيث تحصل إيران بعده على الشرعية لتكون على مسافة قريبة جدًا من القنبلة (كما اعترف بذلك الرئيس أوباما أيضًا).

قرار الرئيس ترامب بالانسحاب من الاتفاق لم يكن مفاجئًا، إذا أخذنا بعين الاعتبار الرؤى الحازمة بشأن سلفه وبشأن تركته، وبالاستناد إلى تعريفاته الواضحة في الماضي بشأن كون الصفقة النووية هي "الأسوأ التي وقعت على الإطلاق". شحذ سيوف ترامب كمقدمة للمفاوضات والتعاطي الصلب مع إيران حول اتفاق جديد يبدو أنه أسلوب عمل محبب لديه، كما يمكن ان ترى ذلك في سلوكه أمام كوريا الشمالية وفي "الحرب التجارية" مع

الصين، فهل يبحث عن صفقة أفضل مع إيران أم انهيار النظام أم "ذريعة" لخطوات عسكرية؟ ما يزال هذا سؤالًا مفتوحًا.

على محور تمركز إيران في سوريا

في الـ 9 - 10 من مايو، بلغ الصدام بينهما ذروته، وهو جدير برؤية تاريخية. منذ العام 1979 تخوض إيران حرب الوكلاء مع إسرائيل، التي وجدت نفسها في مواجهات متكررة مع وكلاء إيران في لبنان وفي سوريا وفي قطاع غزة وفي الضفة الغربية، فكرة إيران الاستراتيجية هي استنزاف إسرائيل وامتصاص دمها ومواردها من خلال تسليح وتدريب وتمويل وإرشاد وكلاء حول إسرائيل، وهذا كله دون أن تدفع إيران ثمنًا بالدم. إيران أيضًا اعتبرت جميع القدرات العسكرية التي بنتها حول إسرائيل تعزز الردع وتصرف الأنظار عن برنامجها النووي.

منذ بدء القرن الحالي، وسعت إسرائيل نظرية المواجهة مع أخطبوط وكلاء إيران بطرق ثلاث: الإضرار بشدة بوكلاء إيران وقت المواجهات معهم، وردعهم أيضًا عن الاحتكاك المستمر معهم، ومن هنا كان الهدوء ذي الـ 12 عامًا على الحدود اللبنانية، وضبط النفس الذي اعتادته حماس (والتي تتمتع هي الأخرى بالمساعدات العسكرية الإيرانية منذ صيف 2014 في قطاع غزة)، وتشويش خطوط الإمداد اللوجستية (في مسارات البحر الأحمر والبحر المتوسط، والمسار البري عبر سوريا، والمساس بأعضاء مُهمين في بناء قوة العدو في مجالات البحث والتطور التقني.

مع اندلاع الحرب في سوريا وتسريع تسليح حزب الله، ضاعفت إسرائيل من هجماتها، وسيما على إرساليات السلاح النوعي إلى حزب الله. عندما حاولت إيران - ردًا على ذلك - أن تفتح جبهة جديدة في الجولان، هاجمت إسرائيل المنفذين والمرسلين والمستضيفين؛ هذه الخطوات جمّدت النشاطات الإيرانية في الجولان لعدة سنوات، ومع هذا كله فالقواعد غير المكتوبة لهذه اللعبة لم تتضمن الاحتكاك بين إيران وإسرائيل.

التغيير في الديناميكا بدأ العام الماضي مع خمود الحرب في سوريا، وعندما توجهت إيران لقطف ثمار الحرب التي استثمرت فيها الكثير. الاستراتيجية الإيرانية تجمع ما بين استنساخ "نموذج حزب الله" من خلال قوات سورية وإحضار الميليشيات الشيعية الأجنبية إلى سوريا بشكل موسع، لكن وعلى خلاف الماضي فإنها تسعى أيضًا لبناء منظومات عسكرية إيرانية كبيرة لتهديد إسرائيل، وسيما منظومة صواريخ بالستية دقيقة وطائرات ومنظومات دفاعية جوية.

إسرائيل من جانبها حاولت وقف إيران، وتوجهت إلى الولايات المتحدة وإلى روسيا بهدف تسخيرهما للقيام بعملية لجم دبلوماسية، لكن وعقب عدم اهتمامهما بفعل ذلك بقيت الكرة في الملعب الإسرائيلي فقط. في البداية سمعت تصريحات على لسان متحدثين إسرائيليين رسميين بشأن الاصرار على منع تمركز إيران في سوريا، وبعد ذلك هوجمت مواقع إيرانية غير مأهولة، كتلميح ومن دون تبني المسؤولية، إرسال الطائرة الإيرانية غير المأهولة إلى إسرائيل في الـ 10 من فبراير 2018 دل على تحول إيران عن نهج العمل غير المباشر في مواجهة إسرائيل إلى التحرك المباشر، في المقابل تطور الرد الإسرائيلي على استراتيجية إيران الحديثة؛ تضمن الأمر الإصابة المباشرة لقوات وقدرات إيران في سوريا، دون قصرها على الوكلاء فقط، وكذلك مهاجمة المصانع والمواقع والعقارات المركزية للتهديد الإيراني المتزايد لإسرائيل وليس ارساليات سلاح حزب الله فقط. الغرض من هذه الهجمات يجمع بين منع التهديدات المتقدمة المادية مثل النيران الدقيقة ومنظومات الدفاعات الجوية، بالإضافة إلى تحميل إيران التكاليف وثنيها وردعها عن مواصلة جهود بناء القوة في سوريا.

في الشهر الأخير ولغاية إطلاق الصواريخ، كانت هناك سلسلة من المحاولات الإيرانية للرد العسكري ضد إسرائيل، وقد احبطتها إسرائيل كلها قبل إطلاق النار. في ليلة الـ 9 - 10 من مايو حاولت إيران مرتين مهاجمة إسرائيل بالنيران، رغم أنها عادت إلى الأسلوب غير المباشر من خلال نشطاء التنظيمات الوكيلة. ردت إسرائيل بتطبيق التزامها المعلن، وأصابت بشدة الكثير من مواقع إيران العسكرية في سوريا، بل وبعدد من منظومات الدفاع الجوي السوري التي أطلقت صواريخ اتجاه طائرات سلاح الجو. مفعول هذه الأحداث أثبت ضعف إيران العسكري الحالي في سوريا، وفي ذات الوقت الهيمنة الاستخباراتية الإسرائيلية وتفوقها الجوي وقدراتها الدفاعية ضد الصواريخ التي تمتلكها؛ هذا كله يعكس المصاعب التي تواجهها إيران في التحرك المباشر على الساحة البعيدة، والتي تتمتع فيها إسرائيل بالتفوق العسكري الواضح، وبالقرب من قواعد قوتها.

من الناحية الاستراتيجية تم الكشف عن سياسة إسرائيلية جديدة، في إطارها لا تنوي انتظار بناء القوة المتزايد للتهديد الإيراني، وكذلك عدم إعفاء إيران من ثمن الدماء بسبب محاربتها لإسرائيل من خلال وكلائها، هذه السياسة نابعة من دروس إسرائيل المستفادة من حربها طويلة الامد مع وكلاء إيران، وعلى رأسهم حزب الله، ومع دعم إيران لحماس، وكذلك من الظروف الاستثنائية الحالية في سوريا، والتي تنمو فيها تهديدات جديدة بشكل سريع، لكن القدرة على الدفاع عنها محدودة، حيث في روسيا هناك تفهم لاحتياجات إسرائيل الأمنية. المسرح مجهز لفصل جديد في هذا العرض المستمر.

مغازٍ

على الجبهة النووية، فالديناميكا التي ستحدث من الآن فصاعدًا مرتبطة بعدد كبير من اللاعبين وخياراتهم الاستراتيجية؛ لذلك فقد تطرأ سلسلة من السيناريوهات: من تجربة إيران وبقية الدول الموقعة على الاتفاق النووي لإنقاذ الصفقة وعزل الولايات المتحدة وعقر العقوبات الجديدة عن طريق إمكانية تجديد تخصيب اليورانيوم "المدني" المؤقتة من قبل إيران وحتى انسحاب إيران من NPT، بل وربما الانطلاق صوب القنبلة في البحث عن الحصانة النووية من الهجوم، ووفق سابقة كوريا الشمالية.

الاقتصاد يقوم بدور مركزي في هذه اللعبة، والاستقرار المالي والاجتماعي والسياسي في إيران مرتبط أيضًا بردود فعل الدول الأوروبية المشاركة في الاتفاق النووي، وكذلك بردود فعل الدول الأعضاء في الأمم المتحدة والأسواق العالمية. في هذه المرحلة يصعب تشخيص رد فعل أمريكي مدروس ومعد ومجهز جيدًا قبيل مختلف السيناريوهات، وعليه فلربما يقع حمل ثقيل على عاتق إسرائيل.

على جبهة الصراع بين إسرائيل وإيران، الأحداث الاخيرة تستدعي تقدير وضع مستحدث لدى جميع الأطراف. على القيادة الإيرانية ان تأخذ بالحسبان سياسة إسرائيل الجديدة، وأن تزن جيدًا خطواتها القادمة في سوريا، قائد "فيلق القدس" قاسم سليماني يواجه على ما يبدو انتقادات شديدة من الداخل، بسبب فشل محاولات المساس بإسرائيل والأثمان التي دفعتها إيران إثر الرد الإسرائيلي، بينما الرئيس الإيراني حسن روحاني اكتوى بالنار إثر الضربة التي تلقاها الاتفاق النووي مع انسحاب الولايات المتحدة منه. تعزيز قوة إيران المستقبلية في سوريا تم بناؤها مجددًا بكل تأكيد في طهران، وفي الوضع الحالي لا يجب ان نحدد فيما إذا كانت المواجهة ستؤدي إلى تقليص الجهود أم أنها ستضاعفها، ربما تحديدًا من خلال العودة لاستخدام الوكلاء بشكل أساس.

في غياب الحدود المشتركة والقوات القريبة، "الحرب" المباشرة بين إيران وإسرائيل ظلت إلى الآن محدودة على تبادل الضربات الجوية والبالستية، بالإضافة إلى هجمات السايبر. الرد على إسرائيل، ما تزال إيران قادرة على البحث عنه أيضًا في ساحات أخرى مثل اليمن (بالصواريخ البالستية أو بالاعتداء على السفن الإسرائيلية)، بل وحتى في خيار أكثر خطورة من لبنان، حزب الله الذي يبدو أنه مردوع عن مهاجمة إسرائيل، وبالتالي يعرض إنجازاته السياسية للخطر؛ كما أثبتت نتائج الانتخابات البرلمانية التي جرت مؤخرًا في لبنان، كذلك السكان الشيعة في لبنان قد يوفرون القدرات العسكرية المطلوبة لإيران الآن للاستخدام في سوريا، لا يمكن استبعاد إمكانية التصعيد الذي سيحدث في أعقاب الحسابات الخاطئة. إيران ربما تحاول إشعال النيران في الضفة الغربية وقطاع غزة، غير ان نفوذها

هناك محدود، وبينما في عهد "الدولة الإسلامية" ستجر العمليات في الخارج آثارًا دولية سلبية للغاية على إيران.

روسيا - التي استعانت كثيرًا بالقوات الإيرانية ووكلائها بالدفاع عن نظام الأسد طوال سنوات الحرب - تبدي تسامحها مع خطوات إسرائيل ضد إيران، بل وربما تسمح بها طالما أنها لا تهدد المصالح الروسية الحيوية في هذه الساحة: عدم المساس بالقوات الروسية وبقاء نظام الأسد. الولايات المتحدة من جانبها توفر دعمًا سياسيًا لإسرائيل، ولكنها إلى الآن تبدي القليل من الاهتمام بسوريا، سياسة الولايات المتحدة الجديدة تجاه إيران ستنجح في الاختبار في جميع انحاء الشرق الأوسط، بما في ذلك في منطقة الهلال الخصيب.

بعد الضربتيْن اللتيْن تلقتهما إيران الأسبوع الماضي، لا مكان للغرور أو الشعور بالرضى المبالغ فيه، يجب تعقب السياسة المستحدثة التي سيعتمدها جميع اللاعبين ذوي الصلة عن قرب. إلى الآن اتبعت إسرائيل سياسة انفرادية أمام النووي وأمام حرب الوكلاء الإيرانيين، وفي الوقت الحالي عليها ان تبلور سياسة تكاملية وبعيدة المدى، وأن تسعى إلى التنسيق في الجهود وإلى التعاون المعمق مع الولايات المتحدة والدول الاوروبية ودول المنطقة، التنسيق الفاعل والاستراتيجي مع روسيا يبقى ضروريًا.

أمام تحدي إيران النووي، المطلوب إعداد "ورشة ردع استراتيجية" مشتركة مع الولايات المتحدة وأصدقاء آخرين من أجل منع حدوث مفاجآت مصيرية. قبيل السيناريوهات المحتملة في المجال النووي، المطلوب بناء قدرات عملية مختلفة وفاعلة. قبيل خطوات إيران القادمة بحرب الوكلاء في سوريا وفي كل المنطقة، المطلوب الاستعداد لرد موسع ليس فقط في سوريا، وأخيرًا وكأساس ثابت المطلوب الاستمرار في ردع حزب الله عن الحرب، وفي المقابل بناء الاستعداد لاندلاعها.

ترجمة ونشر

مركز أطلس للدراسات الإسرائيلية

Atlas Center For Israeli Studies

Website: www.atls.ps

Email: atlas.ps@hotmail.com

Facebook.com/atlas.ps1

Tel. : 0097082834064

Mobile: 00970592826767

جميع الحقوق محفوظة

مايو 2018